الزمن الماضي، تحكم الحاضر وستحكم المستقبل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي كما تنطبق على غير المسلمين تنطبق على المسلين، وكما تنطبق على العجم تنطبق على العرب وغيرهم من شتى الألوان والأجناس يقول تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾[آل عمران:١٣٧]، ويقول: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[فاطر:٤٣]. ويقول سبحانه ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[الأحزاب:٣٨]

إن سنة الله تعالى لا تحابى أحداً، فصحابة رسول الله ﷺ لما لم يحققوا شروط النصر في موقعة أحد، لم تحابهم سنة الله في النصر والهزيمة، مع أنهم أطهر أهل الأرض في هذا الوقت، والعابدون له حقاً ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. إن سنن الله عامة تنطبق على الكافة، ولا تحابى فريقاً.

تلك أهم خصائص السنة الإلهية التي ينبغي استيعابها، حتى لا نخطئ في التعامل معها أو نظن أننا مستثنون من الخضوع لها.

١/٣: ميادين السنة الإلهية

ما من جانب من جوانب عالمنا الذي نعيش فيه ـ المادي منها والمتعلق بالبشر وعلاقات الجماعات ـ إلا ولله فيه سنن حاكمة. يقول الله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[الطلاق:٣]. أي سنناً ونظماً حاكمة، تحكم هذا الشيء. وعبارة ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ في الآية الكريمة لا يخرج عن عمومها شيء.

إن العالم المحكوم بسنن الله تعالى يمكن تقسيمه إلى جانبين اثنين، الجانب المادي، وجانب الاجتماع البشرى والنفس الإنسانية. ومن ثم تكون سنن الله تعالى في ميدانين اثنين، الميدان المتعلق بسلوك الكائنات والموجودات في وجودها المادي، والجانب الإنساني المتمثل في سلوك الإنسان والعلاقات التي تحكم الاجتماع البشرى.

وسنن الله تعالى **في الميدان الأول** تعمل دون أن يكون للإنسان علاقة بها، بل إنه يخضع لها في كيانه المادي، مثل نموه، وعمل أجهزة جسمه المختلفة ومهمة الإنسان بخصوص هذه السنن هي السعي إلى اكتشافها، حتى يتمكن من الاستفادة منها، والحصول على نتائج سيرها الايجابية، وتجنب نتائج سيرها السلبية.

والطريق إلى اكتشاف سنن هذا الميدان هو استخدام الملكات التي أودعها الله تعالى في الإنسان من سمع وبصر وعقل، عن طريق المشاهدة والنظر والتأمل واستخلاص النتائج، ثم الوصول إلى القواعد التي تحكم موجودات هذا العالم، وحوادثه المادية. وبقدر ما يبذل الإنسان من جهد في هذا السبيل يرفقه الله تعالى إلى اكتشاف هذه السنن، ومن ثم يتمكن من تسخير موجودات العالم التي تخضع لها.

أما سنن الله تعالى **في الميدان الثاني**، ميدان الاجتماع البشرى والسلوك الإنساني، فإن الله تعالى قد هدى البشرية إليها، بما قرره في كتابه الكريم، وبما جاء في سنة نبيه ﷺ عندما وضح لنا ترتب أوضاع معينة على سلوكيات معينة، مثل تقريره أن تغيير الأوضاع التي عليها المجتمع، إنما يمر بتغيير الناس

مـا بأنفـسهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعـد:١١]، ومثل تقريره أن الرجوع إلى الله تعالى واستغفاره يرتب الرخاء وسعة العيش ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[نوح:١٠-١٢].

وسنن الله تعالى في الميدان الاقتصادي، والتي ستكون محل عنايتنا قريبا، تقع في هذا النطاق وضمن سنن هذا الميدان، ذلك أن الدراسة الاقتصادية هي دراسة لسلوك الإنسان حيال الظاهرة الاقتصادية.